

الكتاب: تثبيت الإمامة
المؤلف: قاسم بن إبراهيم البرسي
الجزء:
الوفاة: ٢٤٦
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الزيدية
تحقيق: صالح الورداني
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤١٩ - ١٩٩٨ م
المطبعة:
الناشر: الغدير للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان
ردمك:
ملاحظات:

تثبيت الإمامة

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

لمركز الغدير للدراسات الإسلامية

ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة

طبع أو ترجمة الكتاب إلا بترخيص من الناشر

الغدير

حارة حريك - بناية البنك اللبناني السويسري

هاتف: ٦٤٤٦٦٢ / ٠٣ - ٥٥٨٢١٥ / ٠١ - تليفاكس ٢٧٣٦٠٤ / ٠١

ص. ب ٥٠ / ٢٤ - بيروت - لبنان

تثبيت الإمامة
للقاسم بن إبراهيم الرسي
١٦٩ - ٢٤٦ هـ -
تحقيق
صالح الورداني
الغدير
بيروت - لبنان

كلمة المركز

يدرك مركز الغدير للدراسات الإسلامية الحاجة الماسة إلى إحياء التراث الإسلامي المجيد، وبخاصة المقصي منه إلى الهامش، والمبعد عن دائرة الاهتمام. وانطلاقاً من هذا الإدراك يقوم بطباعة هذا الكتاب محققاً، ونشره، وهدفه أن يتيح لكل راغب في معرفة الحق فرصة تحقيق رغبته هذه، من خلال الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة...

يجيب المؤلف، وهو القاسم بن إبراهيم (طباطبا) بن إسماعيل بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الملقب بالرسي، نسبة إلى جبل قريب من المدينة، عن سؤال يسأله أحدهم " عن الإمامة ووجوبها، وما الدليل إن كانت واجبة على ملتزم مطلوبها؟

ويعود المؤلف، بغية تقديم الإجابة المقنعة، إلى الأصل، أي إلى القرآن الكريم والحديث الشريف، ويتبين رؤيتهما إلى هذه القضية، متجرداً من الهوى، ومن الروايات الكثيرة التي وضعها رواة السلطان ليسوغوا حلول الحكام محل الأئمة.

وقد عني المحقق بهذا الكتاب، فكتب مقدمة ضافية له، وحقق نصه، وشرح ما يحتاج إلى شرح، ووضع فهرس له، ما يسهل قراءته قراءة واعية، تتيح النفاذ إلى الحق الذي حاول رواة الحكام طمسه، فعسى أن نكون قد وفقنا، بنشر هذا الكتاب، إلى خدمة الدين الحنيف، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

مركز الغدير للدراسات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم
قال سبحانه:
(يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون
كتابهم ولا يظلمون فتيلا)
الإسراء / ٧١
وقال رسول الله (ص):
(من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)
رواه أحمد

تقديم

كانت ولا زالت الإمامة هي جوهر الدين إلا أن السياسة حالت دون ذلك وعملت على تشويه هذه القضية وتسطيحها..

لكن النصوص القرآنية الواردة حول الإمامة تنفي هذا التسطيح وتؤكد لنا أنها ضرورة من ضرورات الدين..

يقول تعالى: (.. إني جاعلك للناس إماما..) البقرة / ١٢٤

ويقول: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا..) الأنبياء / ٧٣

ويقول: (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم..) الأسراء: ٧١

ومثل هذه النصوص الصريحة إنما تشير في دلالة واضحة إلى أن مستقبل الأمة وهدايتها يرتبط ارتباطا وثيقا بالإمامة ولو لم تكن للإمامة مثل هذه الأهمية ما منحت لنبي كإبراهيم كما يتضح من النص. الأول إذ أن دوره كنبي ورسول يكفي.. ومنحه هذا اللقب وتوجيهه للقيام بهذا الدور يعني أن مهمة الإمامة لها من الأبعاد والدلالات ما يتعدى حدود النبوة والرسالة أو هي امتداد لهما..

وما يؤكده لنا النص الثاني أن الإمامة مرتبطة بالهداية وهذا يشير إلى أن الانحراف عن الإمامة يعني الضلال والزيغ عن الصراط المستقيم. يعني الانحراف عن أمر الله..

أما النص الثالث فيحمل دلالة مستقبلية تتعدى حدود الحياة الدنيا وترتبط بالبعث والآخرة.

وهذا يعني أن الإمامة قضية مصيرية يرتبط بها مستقبل المؤمن وآخرفته ونجاته من النار

وبقدر هذه الأهمية لقضية الإمامة التي تبرزها هذه النصوص في محيط الحق والهداية تأتي نصوص أخرى تبرز لنا مدى خطورة هذه القضية في محيط

الباطل والضلال. فكما أن الإمام الحق يقود المؤمن نحو الهداية والأمن والنجاة. يأتي إمام الباطل ليقود الناس نحو الضلال والخوف والهلاك. وهو ما يتضح من خلال قوله تعالى: (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار..) القصص / ٤١.

وقوله: (فقاتلوا أئمة الكفر..) التوبة / ١٢. إن القرآن يريد أن يؤكد لنا أن هناك صنفان من الأئمة: أئمة حق..

وأئمة باطل..

ولا مكان لأئمة الباطل في ظل سيادة أئمة الحق.

وإنما يسود أئمة الباطل في غياب أئمة الحق..

مثل هذه الرؤية القرآنية قد أهملتها الأمة تحت ضغط السياسة وأمام حشد الروايات..

وجاء فقهاء السلطان فقاموا بتأويل هذه الروايات بما يخدم الاتجاه السائد المناقض لفكرة الإمامة المعادي لها..

ولقد كانت هذه الروايات بمثابة نجدة للحكام الذين حلوا محل الأئمة ونصبوا أنفسهم أئمة للمسلمين بمباركة الفقهاء وبدعم من هذه الروايات... ومن نماذج هذه الروايات:

(الأئمة من قريش)

(من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)

(لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان)

(من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه)

(أطع الأمير وإن جلد ظهره وأخذ مالك)

(من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر
ينازعه فأضربوا عنق الآخر
(من رأى من أميره شيئاً فليصبر فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فمات فميتته
جاهلية)

وفي رواية أخرى: فقد خلع ربة الإسلام من عنقه.. ١
هذه الروايات هي التي وضعت الحكام مكان الأئمة ودفعت بالفقهاء
ليلبسوهم ثوب الأئمة ويوجبوا على المسلمين طاعتهم تقديسهم..
ومن جانب آخر شكلت هذه الروايات حاجزا حال دون فهم قضية الإمامة
وموه على حقيقتها..
وقد برز من خلال هذه الروايات فقه آخر مناقض لفقه الإمامة ومشوه لها..
فقه ساند الحكام وسطح قضية الإمامة..
فقه قاد الأمة نحو الحكام ودفع بها إلى معاداة أئمة الحق والانحراف عنهم..
فقه جعل الحكام هم الأئمة ووطن في نفوس المسلمين أن الإمام يعني الحاكم الذي
يوجب الإسلام طاعته والجهاد والحج معه ودفع الزكاة له والصلاة من خلفه..
وتفتت فكرة الإمامة وأصبحت تطلق على كل من يؤم الناس بداية من الحكم حتى
الصلاة..

ومنذ ذلك الحين ساد هذا الاتجاه في واقع الأمة وتغلغل في التراث وسلم به
المسلمون..

منذ ذلك الحين أصبح إثارة الفكرة الحقيقية للإمامة وإبراز مضمونها
وحصرها في دائرة أئمة الحق يعد مخالفة لإجماع المسلمين وبدعا من الدين..
وعلى ضوء هذا المفهوم الزائف لفكرة الإمامة فسر الفقهاء قوله تعالى (يا
أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) النساء / ٥٩.

١ - أنظر مسلم كتاب الإمارة وكتب السنن الأخرى..

فسروه لصالح الحكام واعتبر هذا النص من النصوص القطعية التي أعتمد عليها الفقهاء في إلزام الأمة بطاعة الحكام باعتبارهم أولي الأمر.. والمتأمل في هذا النص القرآني يتبين له أن الطاعة قد تدرجت من خلاله فهي أو لا لله سبحانه.

وثانيا لرسوله (ص)

وثالثا لأولي الأمر.

وهذا الأمر إن دل على شئ فإنما يدل على أن طاعة أولي الأمر مرهونة بطاعة الله وطاعة الرسول المبلغ من قبل الله. وأن هذا الطاعة امتداد لطاعة الله مما يعني أن أولي الأمر الذين يقصدهم النص هم فئة خاصة متقيدة بطاعة الله وملتزمة بنهج الرسول المبلغ لشرع الله والمبين له. والحكام الذين قصدتهم الفقهاء بالطبع لا تتوفر بهم صفة الطاعة هذه كما هو واضح من تاريخ حكام المسلمين.

من هنا يمكن القول أن أولي الأمر الذين يشير إليهم النص هم أئمة الحق الذين تقيدوا به وكانوا جديرين بحمل لوائه والنطق بلسانه.. ٢

وهم وفق هذا التصور طائفة خاصة مميزة ومنتقاة من بين المسلمين والذي يملك صلاحية أو شرعية الإنتقاء هو الرسول (ص) وهو ما يظهر بوضوح من خلال الكثير من النصوص الواردة على لسانه في كتب السنن تلك النصوص التي قام الفقهاء بتأويلها وإخضاعها للسياسة حتى لا تصطدم بالوضع السائد.. وعلى رأس هذه النصوص قول الرسول (ص): يا أيها الناس أني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي.. ٣

٢ - وقد أشار المؤلف إلى هذا النص وأكد هذه النتيجة..

٣ - رواه الترمذي والنسائي عن جابر. وانظر مسند أحمد ومستدرک الحاكم..

وفي رواية أخرى:.. أنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور.. وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي.. ٤

ويردد المسلم في كل صلاة ما لا تصح صلواته إلا به وهو: اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.. وتأتي النصوص القرآنية لتؤكد تميز هذه الطائفة وشرعية هذا الإنتقاء من خلال قوله تعالى: " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا "

وقوله تعالى: " رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد " .. وقوله تعالى: " إنما أنت (الرسول) منذر ولكل قوم هاد " (الإمام).. الرعد / ٧. ومثل هذه النصوص القرآنية تشير في دلالة واضحة إلى عظيم مكانة آل البيت واختصاصهم بدور الإمامة والهداية للأمة من بعد الرسول (ص) لا الحكام الذين تركوا مهمة الهداية للفقهاء الذين فشلوا في هذه المهمة. إن إدراك أهمية الإمامة ومكانتها الشرعية لا يتأتى إلا بالنظر إلى الجانب المغتصب للإمامة من الحكام وأشياعهم من الفقهاء الذين برروا لهم هذا الاغتصاب وأضفوا المشروعية عليه.

إن الله سبحانه يقول: " الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر " .. الحج / ٤١ وهؤلاء الحكام لم يلتزموا بشئ من ذلك وهذا برهان ساطع على كونهم من أئمة الضلال وليسوا هم أئمة الحق والهدى كما يحاول التأكيد على ذلك الفقهاء.. ٥

٤ - رواه مسلم عن زيد بن الأرقم..

٥ - أنظر سيرة الحكام وفسادهم ومظالمهم في كتب التاريخ. وانظر لنا مدافع الفقهاء..

وتعد الإمامة قضية جوهرية ومصيرية في دائرة الإسلام دون بقية الأديان وذلك يعود إلى كون الإسلام خاتم الأديان والرسول (ص) هو خاتم الرسول (ص) فمن ثم تكون الحاجة ماسة إلى وجود الإمام من بعده ليكون حجة على الناس وعلماء من أعلام الهدى ومرجعا للأمة في أمر دينها..
إلا أن الأمة من بعد الرسول (ص) انحرفت عن أئمة الحق وتبعت أئمة الباطل من الحكام الذين أضلوا عن سبيل الله..
أتبعت الأمة الخلفاء والملوك والسلاطين الذين باركهم الفقهاء وزينوهم للمسلمين.
وأهملت الأمة تحت تأثير السياسة وضغط الفقهاء أئمة أهل البيت الذين أرشد عنهم القرآن والرسول (ص)..
من هذا المنظور قام الفقهاء بتطويع النص النبوي الذي يقول: لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا.
وفي رواية: لا يزال هذا الدين منيعا حصينا إلى اثني عشر خليفة.
وفي رواية: لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة.. ٦
لقد قام بعض الفقهاء بتحديد الإثني عشر خليفة الذين يرتبط بهم مستقبل الإسلام والمسلمين في الآتي: الخلفاء الأربعة أبو بكر، عمر، عثمان، علي ومعاوية، وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة هشام، وسليمان والوليد، ويزيد، وبينهم عمر بن عبد العزيز، ثم أخذ الأمر في الانحلال.. ٧

٦ - أنظر مسلم كتاب الإمارة..
٧ - أنظر شرح العقيدة الطحاوية..

وقال ابن الجوزي: قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث وتطلبت مآلانه وسألت عنه فلم أقع على المقصود به لأن ألفاظه مختلفة ولا أشك أن التخليط فيها من الرواة.. ٨

وينقل ابن حجر أنه يحتمل أن يكون الإثنى عشر بعد المهدي الذي يخرج في آخر الزمان.. وقد قيل أنهم يكونون في زمن واحد يفرق الناس عليهم ويحتمل أن يكون المراد أن الإثنى عشر في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره.. ٩

وينقل عنهم لم ألق أحدا يقطع في هذا الحديث بشئ معين. فقوم قالوا يكونون بتوالي إمارتهم

وقوم قالوا يكونون في زمن واحد كلهم يدعي الإمارة.. ١٠ ويظهر مما نقلنا أن الفقهاء يتخبطون في تحديد من هم الإثنى عشر الذين أشارت إليهم الروايات التي جزموا بصحتها، وبعضهم حسم الأمر بحصرهم في دائرة بني أمية. وجاء آخرون فأخرجوا حكام بني أمية ووضعوا مكانهم حكام بني العباس

وهو ما يظهر من خلال كلام السيوطي حول هذه الروايات.. ١١ ومثل هذه التفسيرات التي تتجه نحو الحكام وتصب في دائرتهم الهدف منها هو التموية على أئمة آل البيت والتعظيم عليهم وعلى رأسهم الإمام علي والحسن والحسين من بعده وبقية أئمة آل البيت الإثنى عشر (ع).. ١٢

٨ - أنظر مشكل الحديث..

٩ - أنظر فتح الباري شرح البخاري - ١٣ / كتاب الأحكام..

١٠ - المرجع السابق..

١١ - أنظر تاريخ الخلفاء المقدمة..

١٢ - أنظر سيرة أئمة آل البيت وتاريخهم في كتب التاريخ والتراجم. وانظر لنا موسوعة آل البيت. وقد ترجمت للإمام علي بن الحسين المعروف بزین العابدين ومحمد بن علي المعروف بالباقر وجعفر بن محمد المعروف بالصادق وموسى بن جعفر المعروف بالكاظم وعلي بن موسى المعروف بالرضا ومحمد بن علي المعروف بالحواد وعلي بن محمد المعروف بالهادي ثم الحسن بن علي العسكري ثم محمد بن الحسن المهدي المنتظر وهو خاتم الأئمة..

وأقل ما يشير إليه هذا التخبط الذي وقع فيه الفقهاء تجاه هذه الروايات هو أن هناك جهة أخرى محددة أشار إليها الرسول (ص) وإن رفضنا هذه النتيجة فإن كلام الرسول يكون من قبيل العبث إذ كيف يشير إلى اثني عشر دون أن يحدددهم ويحسم الخلاف الذي من الممكن أن يقع من حولهم؟

ولقد وقع هذا الخلاف ولكن ليس من حول أئمة آل البيت (ع) الذين قصدهم الرسول وإنما وقع من حول الحكام الذين حاول الفقهاء إحلالهم مكان الأئمة فهم قد ساندوا الحكام في عزل أئمة آل البيت عن واقع المسلمين ثم اختلفوا من حولهم.. ثم وقفوا من قول رسول الله (ص): من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ١٣. نفس الموقف الذي وقفوه من النصوص السابقة..

فقسم منهم ضعف الحديث وأثار من حوله الشبهات.

وقسم آخر وجهه ناحية الحكام كما وجهه النصوص السابقة..

فقول الرسول (ص) من مات ولم يعرف إمام زمانه. إنما يشير في دلالة واضحة إلى أن الإمامة هي الفيصل بين الحق والباطل وبين الإسلام والجاهلية فمعرفة الإمام تعني معرفة الحق والجهل به يعني السقوط في برائن الباطل والضلال..

ومن غير الممكن أن يكون المقصود بالإمام هو الحاكم فإن هذا يعني أن معرفة الحاكم تعني معرفة الحق وهو ما لم يقل به أحد من أصحاب العقول إلا الفقهاء الذين ساروا في ركاب الحكام.. ١٤

١٣ - رواه أحمد في مسنده وفي مسلم (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)

١٤ - وهذا يشير إلى أن حديث مسلم يؤكد حديث أحمد فالبيعة المقصودة في الحديث إنما هي للإمام وليست للحاكم.

وهذا الحديث الذي يعلن صراحة أن الإمام هو الفيصل بين الحق والباطل الذي تم التعيم عليه من قبل الرواة والمحدثين تجنبه أصحاب الصحاح مثل البخاري ومسلم: في الوقت الذي قاموا فيه بتضخيم حديث منسوب للرسول (ص) يقول: تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي. وأشاعوه بين المسلمين. على حساب حديث: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي الذي أصبح مجهولا متواريا أمام حديث: كتاب الله وسنتي.. ١٥

وقد نصت كتب العقائد على وجوب طاعة الحكام والصلاة والحج والجهاد من ورائهم وتسليم الزكاة لهم ولو كانوا فسقة فجارا.. ١٦

ومثل هذه الرؤية التي تضع الحكام في هذا الإطار العقائدي إنما تعني شيئا واحدا في نظر الفقهاء هو أن هؤلاء الحكام هم أئمة الحق المعصومون.. هذا في الوقت الذي يستخفون فيه بأئمة آل البيت (ع) وينفون عنهم الإمامة والعصمة التي منحهم إياها النصوص الصريحة.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا والذي ينشر لأول مرة إنما هو مشعل من بين مشاعل كثيرة رفعها فقهاء صدعوا بالحق وتصدوا لظلمات الباطل وانطلقوا

١٥ - حديث كتاب الله وسنتي رواه مالك في الموطأ والحاكم في المستدرک بينما حديث كتاب الله وعترتي رواه مسلم كما أشرنا سابقا ورواه غيره أيضا فهو أقوى من حيث السند ومن حيث الشهرة. مع ملاحظة استحالة أن يوص الرسول (ص) بالسنة وهو قد ترك الكتاب غير مجموع متفرق في صدور الناس حسبما يروى ويقول الفقهاء بينما تم تدوين السنة بعد وفاة الرسول (ص) بأكثر من ثمانين عاما.. فكيف يوصي الرسول بالسنة وهي غير موجودة؟

أنظر كتب تاريخ القرآن وتاريخ السنة.

وانظر كتاب فضل القرآن في البخاري وشرحه في فتح الباري..

١٦ - أنظر العقيدة الطحاوية وشرحها. وانظر العقيدة الواسطية لابن تيمية وعقيدة أهل السنة لابن حنبل. وأنظر لنا: أهل السنة شعب الله المختار. وعقائد السنة وعقائد الشيعة وانظر شرح النووي على مسلم كتاب الإمارة. وشرح ابن حجر على البخاري كتاب الأحكام..

بمشاعلهم لينيروا طريق الحق للأمة متسلحين بكتاب الله عز وجل في مواجهة الحكام وفقهاء السلاطين وركام الروايات التي اخترعوها ليطمسوا فكرة الإمامة. وقد استشهد المؤلف بكثير من الآيات القرآنية التي تدعم فكرة الإمامة وهذا الأمر إن دل على شئ فإنما يدل على عمق فهم المؤلف وتمكنه من أدوات فهم النص القرآني. وعلى رأس هذه الأدوات التجرد وهو ما افتقده المفسرون والفقهاء الذين تصدوا لنصوص القرآن وأمعنوا النظر فيها بعين واحدة بينما ركزوا العين الأخرى على الحكام والروايات..

أن المسلمين اليوم في حاجة ماسة لإعادة قراءة النص القرآني بعين المتجرد بعيدا عن تأثير الفقهاء والروايات وهو ما التزم به مؤلف الكتاب.. وحتى يتحقق الفهم المطلوب من النص القرآني لا بد من الالمام بالأمور التالية:

أولا: قراءة الواقع المدني ودراسة قطاعاته..

ثانيا: التحرر من تأثير الروايات المخترعة..

ثالثا: التحرر من تأثير السياسة والرجال..

إن فهم الواقع المدني ودراسة قطاعاته مقدمة ضرورية لفهم أبعاد النص القرآني ومدلولاته.. ١٧ والنصوص القرآنية التي تتعلق بالإمامة يتطلب فهم أبعادها ومدلولاتها قراءة الواقع المدني ودراسة قطاعاته وشرائحه كما يتطلب التحرر من الروايات والسياسة والرجال..

ولقد حال انعدام الوعي بتركيبة المجتمع المدني وطبيعته وإخفاء الصورة المثالية على واقعه ورموزه دون فهم النصوص القرآنية المتعلقة بالصحابة وعلاقتهم بآل البيت وموقفهم منهم..

١٧ - أنظر سورة التوبة وهي تحوي الكثير من النصوص التي تعري الواقع المدني وما يجري على ساحته من تجاوزات وصدامات وانحرافات ولأجل ذلك أطلق عليها الفقهاء اسم الفاضحة..

وجاءت الروايات لتضفي القداسة على الصحابة وتشكك في آل البيت وتنفي الإمامة عنهم..

وبارك الفقهاء هذه الروايات ودعموها بأقوالهم وفتاواهم في رعاية ومساندة الحكام الذين اغتصبوا الإمامة من آل البيت.. وما عرضه المؤلف من نصوص قرآنية إنما كان الهدف منها التأكيد على أن الإمامة وحي وتنزيل وسنة من سنن الله في الذين خلوا من قبل على حد تعبيره..

(ولن تجد لسنة الله تبديلاً)

وكما كتب الصوم على الذين من قبلنا كتبت الإمامة. فالصوم فريضة..

والإمامة فريضة..

وقد كتبت هذه السنة على بني إسرائيل كما هو واضح من خلال قوله تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا..) وكتبها على إبراهيم (ع) بقوله سبحانه: (إني جاعلك للناس إماما..) وطلب إبراهيم جعلها في ذريته (قال ومن ذريتي) قال تعالى (لا ينال عهدي الظالمين)

فالإمامة كما هي في بني إسرائيل هي في ذرية إبراهيم لكنها كما هو واضح من النصين هي تنحصر في حدود المتقين..

وكما هي في ذرية إبراهيم هي في ذرية محمد وهو ما يؤكده المؤلف مستشهداً بقوله تعالى (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) والمقصود بالذين آمنوا هنا الذين آمنوا بالله والنبي والإمام من بعده فكأن إنكار الإمام يعد إنكاراً لله والرسول (ص) ويعد خروجاً من دائرة الولاية التي خصها الله للمؤمنين..

ويستشهد المؤلف بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم..)
ويؤكد أن الله سبحانه لا يأمر إلا بمعلوم غير مجهول.. وهذا يشير إلى أن الإمام كان معروفا ومحددا أمام المؤمنين في دائرة المجتمع المدني في شخص علي بن أبي طالب..
وهو ما تؤكد النصوص القرآنية التي نزلت فيه والنصوص التي تزكاه وتميزه على لسان النبي (ص).. ١٨
واستعرض المؤلف لجانب من هذه الخصوصية التي تميز بها الإمام ويكفي القول في هذا المضمرة أن لفظة إمام لم تطلق على أحد من صحابة رسول الله (ص) ولم ترتبط إلا بعلي بن أبي طالب..
ويؤكد المؤلف قضية الاصطفاء كما يؤكد قضية الوصاية والوصي من خلال حشد عدد غير قليل من النصوص القرآنية..
منها قوله تعالى: (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم)
وقوله تعالى على لسان زكريا (ع): (فهب لي من لدنك وليا. يرثني ويرث من آل يعقوب..)
وقوله تعالى: (ومن آباءهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبتناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم)
وقوله تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما)

١٨ - أنظر كتب التفسير وأسباب النزول ومناقب الإمام علي في كتب السنن.. وانظر خصائص الإمام علي للنسائي..

وما دامت قد تأكدت قضية الاصطفاء والتميز لآل البيت من خلال هذه النصوص فقد تأكدت إمامتهم.

وحين تتأكد إمامتهم تتأكد وصايتهم على الأمة من بعد الرسول (ص).

فالنص الأول يؤكد الاصطفاء..

والنص الثاني يؤكد الاختيار..

والنص الثالث يؤكد التطهير..

والنص الرابع يؤكد الميراث..

والنص الخامس يؤكد الأمور الأربعة..

إن الاصطفاء والاختيار والتطهير والميراث لا يمكن جمعهم إلا في دائرة فئة مؤهلة للقيام بدور رباني رسالي في واقع الأمة وليس هناك من فئة مؤهلة للقيام بهذا الدور سوى آل البيت..

لا الصحابة..

ولا الحكام..

ولا الفقهاء..

ومن هنا ونظرا لهذا الوضع المتميز لآل البيت فقد حسدهم الناس من شتى القطاعات الأخرى التي يتكون منها المجتمع المدني..

من قطاع المهاجرين..

ومن قطاع الأنصار..

ومن بني أمية..

بالإضافة إلى قطاع المنافقين..

وهو ما يظهر لنا من خلال النص السادس الذي أراد الله سبحانه أن يؤكد أن الفضل الذي تفضل به على آل النبي (ص) بجعل الإمامة فيهم من بعد الرسول ليس أمرا شاذًا في حركة الرسل يتطلب من القطاعات الأخرى أن تحسدهم عليه

فأن آل البيت هم امتداد لآل إبراهيم (ع) الذين جمعوا ما بين الكتاب والحكمة والملك..

وإن كان المجتمع المدني والعربي عامة قد تمرد على وصية الرسول وإمامة علي وخرج على نهج الكتاب وحرم آل البيت من الحكم فهو قد عجز عجزاً كاملاً من أن يحرمهم من الكتاب والحكمة الذي ورثوه عن النبي وظل عائلة عليهم في هذا الأمر.. ١٩

لقد شاءت الإرادة الإلهية أن تكون الإمامة في آل البيت. وأراد الله تعالى أن يكون أئمة آل البيت حجج الله على العباد من بعد الرسول ومرجع هذه الأمة وأداة وحدتها وقوتها ومصدر الحكمة وسر النبوة وحفظة الكتاب..

(وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة)

ولو كانت الأمة قد سارت على نهج آل البيت وأقرت بإمامتهم ما كان يمكن أن يكون هناك وجود لفقهاء السلاطين ورواياتهم وسلاطينهم الذين فرقوا الأمة شيعاً وأحزاباً وأضلوها السبيل..

وما أعظم حاجتنا اليوم إلى هذا النور الرباني لنهتدي به وسط ظلمات العصر التي هي من صنع ذلك التراث الشيطاني المتولد من الروايات وأقوال الرجال وسياسة الحكام والذي طمس صورة الإسلام. وما أشد حاجتنا وحاجة الإسلام إلى الأقلام المتحررة من تأثير الروايات والرجال والسياسة. المتجردة من الهوى والغرض لتقوم بدورها في إنهاء هذه الأمة المنكوبة المكبلية بأغلال الماضي..

١٩ - أنظر الصراع الذي دار بعد وفاة النبي (ص) بين المهاجرين والأنصار وبين المهاجرين والعرب من أجل الحكم وأحداث سقيفة بني ساعدة في كتب التاريخ. وانظر لنا كتاب السيف والسياسة. وانظر سيرة أئمة آل البيت في كتب التاريخ. وانظر لنا موسوعة آل البيت ليتبين لك أن جميع العلوم قد خرجت من آل البيت..

وإن أول خطوة على الطريق هي العمل على بعث التراث المجهول أو
بمعنى أدق التراث الذي ضرب بفعل السياسة والذي نحن في أمس الحاجة إليه
لتحقيق التوازن الفكري والاعتدال في الحركة والتصوير وتوحيد كلمة المسلمين
حول راية آل البيت بعد أن أخفقت الرايات الأخرى في نبذ الفرقة والحد من تكاثر
الجماعات التي تتخبط في ظلمات الواقع بحثا عن إمام..
وإننا إذ نقدم هذا الكتاب للمسلمين اليوم نكون قد خطونا خطوة فعلية نحو
بعث التراث المجهول وإلقاء الضوء عليه..

صالح الورداني
القاهرة

الخامس عشر من ربيع
الآخر عام ١٤١٩ هـ

- مصدر المخطوطة /
توجد من هذه المخطوطة نسخة واحدة في المكتبة المتوكلية اليمنية بالجامع
الكبير بصنعاء تحت رقم ١٦٧٠ علم كلام.
وهي تقع ضمن مجموعة من الرسائل الصغيرة على رأسها رسالة الرد
على ابن المقفع وهي بدون تاريخ وعليها أسم المؤلف والتعليق التالي:
نصر فيها المؤلف مذهب الزيدية في تقديم أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب على الخلفاء الثلاثة..

ترجمة المؤلف

(٢٣)

هو القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الدياج بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الهاشمي، الحسن، أبو محمد، الرسي - ١٦٩ - ٢٤٦ هـ - .
فقيه شاعر وأبيه (إبراهيم طباطبا) تعتبره الزيدية المؤسس الأول للأمة الزيدية.

وهو فقيه شاعر حجازي مدني، شارك في أصناف من العلوم، كان يسكن جبل قدس من أطراف المدينة. ويعتبر من أئمة الزيدية وهو شقيق ابن طباطبا (محمد بن إبراهيم). وسمع من يونس بن عبد الأعلى وإبراهيم بن مرزوق، وسكن مصر، وحدث عنه الحسن بن رشيق. وأعلن دعوته بعد موت أخيه سنة ١٩٩ هـ - . ذكره المرزباني في الشعراء، ولم يشر إلى إمامته أو كتبه، وأورد له شعرا جيدا منه أبيات آخرها:

إذا أكدى جنى وطن * فلي في الأرض منعرج
وقال: من ولده الحسين بن الحسن بن القاسم الزيدي صاحب اليمن. وذكره الزركلي في الأعلام قائلا: إنه حسن الشعر جيدة، وأورد له شعرا منه:
عسى الله فلا تياس من الله إنه يسير عليه ما يعز ويكبر
وله أيضا:

وعيني هديت أنال الغنى * بيأس الضمير وهجر المنى
وتوفي القاسم بالرس (وهو جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة، على ستة أميال من المدينة، وإليه ينسب) وله ثلاث وعشرون رسالة منها:

- تثبيت الإمامة.
- الرد على ابن المقفع.
- العدل والتوحيد.
- سياسة النفس.
- الناسخ والمنسوخ.

وذكر ابن الأثير في الكامل أن المأمون عندما بعث عبد الله بن طاهر واليا على مصر والشام والجزيرة، قال له بعض إخوته: إن عبد الله يميل إلى أولاد علي فأنكر ذلك، ثم بعث رجلا وقال له: امش إليه في هيئة القراء والنسك إلى مصر فادع جماعة من كبرائها إلى القاسم بن إبراهيم بن طباطبا، واذهب إلى ابن طاهر فادعه إليه واذكر مناقبه ورغبه فيه، واثن بما تسمع، ففعل، ولكن رده ابن طاهر وأنكر ما قيل له مما كان باعثا لسرور المأمون. وقد ساقها الطبري في تاريخه بالنص.

وذكر المأمون للرسبي دليل علي شهرته ومعرفة الناس به. واسم طباطبا الذي أطلق على أبيه إبراهيم بن إسماعيل، عرف به لأنه كان يلثغ الطاء عوضا عن الفاء، فقال يوما بحضرة هارون الرشيد وأشار إلى بعض الغلمان: ذاك يا أمير المؤمنين صاحب الطبا، فلقب بطباطبا.

مصادر سيرة المؤلف:

- ١ - معجم المؤلفين: عمر كحالة
- ٢ - معجم الشعراء: المرزباني، ٢١٧.
- ٣ - الإعلام: الزركلي، ٥: ١٧١.
- ٤ - الكامل: ابن الأثير.
- ٥ - تاريخ الأمم والملوك: الطبري.
- ٦ - تاريخ الإسماعيلية ١: ١٠١.
- ٧ - العلماء والرواة للعلم بالأندلس: الأزدي بن الفرض.
- ٨ - المقفى الكبير: المقرئزي.

تثبيت الإمامة

(٢٧)

الصفحة الأولى من المخطوطة

أحمد الله فاطر السماوات والأرض ففضل بعض مفطورة على بعض علوا منه تعالى للمفضلين شكره، وإحسانا للمفضولين ما ازداد في ذلك من أمره ليزيد الشاكرين في الآخرة شكرهم من تفضيله، وليذيق المفضولين لسخط إن كان منهم في ذلك من تنكيله: ابتداء في ذلك للفاضلين بفضله وفعلا فعله بالمفضولين عن عدله.

يقول الله جل ثناؤه وتباركت بقدسه أسماؤه " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " ١ .
وقال " وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون " ٢

ويقول تعالى: " وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم " ٣ .
ويقول تبارك وتعالى " أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا " ٤ .

ويقول سبحانه " أ هم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون " ٥

١ - الأنبياء: ٢٣ .

٢ - القصص: ٦٨ .

٣ - الأنعام: ١٦٥ .

٤ - الإسراء: ٢١ .

٥ - الزخرف: ٣٢ .

وقال تعالى: " ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً " ٦
وقال تبارك وتعالى: " وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " ٧.

ويقول سبحانه: " وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون " ٨.

والحمد لله رب العالمين الذي جعلنا من أبناء المرسلين ٩ الذين وصفهم بصفوة تفضيل المفضلين ونستعين مفدى الخيرات وولي كل حسنة من الحسنات على واجب شكره وكريم أثره فيما ابتدأ به من فضله وخص به من ولاة رسله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فعليه توكلنا وهو رب العرش الكريم..

(وبعد) ١٠

سألت سترك الله عن الإمامة، ووجوبها، وما الدليل إن كانت واجبة على ملتزم مطلوبها؟

فأما وجوب الإمامة ودليله فوحي كتاب الله عز وجل وتنزيله فاسمع لسنته في الذين خلوا من قبلك وتفهم لتقدم لوائها عن الله تعلم. فإنه يقول عز وجل ونحمده فيما نزل من محكم كتابه: " سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً " ١١

٦ - الإسراء: ٧٠.

٧ - الجاثية: ١٣.

٨ - النحل: ١٢.

٩ - يريد انتسابه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث يمتد نسبه إلى الإمام الحسن ابن

علي (ع) ..

١٠ - () فراغ في الأصل.

١١ - الأحزاب: ٦٢.

ويقول تعالى: " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " ١٢ . هذا يرحمك الله لكي تعتبر بمنزل ما به في أشباه حكمه في الأمم واستنانه ثم أخبر تعالى عما جعل من الإمامة في بني إسرائيل، قبل أن ينقل ما نقل منها إلى ولد إسماعيل (عليه السلام) فقال: " ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون " ١٣ .

وقال سبحانه ما أنور بيانه فيما ترك من قصص خليله إبراهيم (عليه السلام)، وما خصه الله به في الإمامة من التقديم، وما كان من دعاء إبراهيم (عليه السلام) وطلبه ١٤ لإبقائها من بعده في ذريته " إني جاعلك للناس إماما . قال ومن ذريتي " ١٥ .

قال تبارك وتعالى " لا ينال عهدي الظالمين " ١٦

خبرا منه سبحانه أن عهده فيها إنما هو للمتقين منهم فلم يزل ذلك مصرفا بينهم. لم يخرج الله تعالى منهم بعد وضعه له فيهم، وإنعامه له عليهم حتى كان أسر مصيره في الرسالة ما صار إلى إمام الهدى محمد - صلوات الله عليه وآله - فكان خاتم النبيين، ومفتاح الأئمة المهتدين.

ثم قال تعالى بعد هذا كله دلالة على " أن محمدا وارث خليله " : " إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين " ١٧

١٢ - البقرة ١٨٣ .

١٣ - السجدة: ٢٣، ٢٤ .

١٤ - طلبه: في الأصل طلبته .

١٥ - البقرة: ١٢٤ .

١٦ - البقرة: ١٢٤ .

١٧ - آل عمران: ٦٨ .

فكان محمد الوارث من إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - للنبوة ١٨
والنبي - عليه السلام - حاز ما كان من إبراهيم وإسماعيل من الدعوة، إذ يقولان -
صلوات الله عليهما - : " ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم
الكتاب والحكمة

ويزكيهم، إنك أنت العزيز الحكيم " ١٩ .

وأبين دليل، وأنور تنزيل في وجوب الإمامة وما يجب منها على الأمة
قول الله تبارك وتعالى:

(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ
فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن
تأويلا) ٢٠

فأمر تبارك وتعالى بطاعة أولي الأمر مع ما أمر به من طاعته وطاعة
الرسول، ولا يأمر تبارك وتعالى إلا بمعلوم غير مجهول، مع ما لا أعلم فيه بين
الرواة فرقة وما لا أحسب كافرا ذامها عليه بتفقده من حديث الرسول - عليه السلام -
في أن: " من مات لا إمام له مات ميتة جاهلية " ٢١
فكل هذا دليل على وجوب الإمامة وعقدتها، وما في ذلك للأمة بعد
رسولها - صلى الله عليه وآله وسلم - من رشدتها مع ما يجمع جميع الأمم على

١٨ - تميز نبينا (ص) بأنه ورث بالإضافة إلى الرسالة مالا لمن بعده من أئمة آل البيت (ع) وذلك
كي يكون لهم عوننا على استمرار نهج النبوة ودعم خط الرسالة ولقد جاء هذا التميز لكونه خاتم
الأنبياء. أنظر قصة فدك والصدام الذي وقع بين السيدة فاطمة (ع) وبين أبي بكر حول ميراث
النبي بعد وفاته (ص) في كتب التاريخ وانظر فدك في التاريخ. لمحمد باقر الصدر.

١٩ - البقرة: ١٢٩ .

٢٠ - النساء: ٥٩ .

٢١ - رواه أحمد في المسند: ٤، ٩٦ بلفظ " بغير إمام " . وفي رواية " من مات ليس في عنقه بيعة مات
ميتة جاهلية " مسلم كتاب الإمارة.

اختلاف مللها وعقولها، وما هي عليه من الفرقة البعيدة في أجناسها وأصولها في
تقديمها لمن يؤمن منها، وبدت محو ودمار للأعداء عنها، ويحوط حزمها عليها
وينفذ حكم المصلحة فيها ويكف سرق قوتها عن ضعيفها، وعزى حكم قسط التدبير
فيها في شريفها ووضعها، استصلاحا منها بذلك للدنيا، والتماسا به لما فيه لها من
التقيا فكيف يرحمك الله لطلاب تضارب الأرباب، وحلول دار الخلد من الجنة،
وملتمس حكم الكتاب والسنة؟ أ يصلح أولادك أن يكونوا قوما بغير إمام ٢٢؟ هيهات "
إنا " ٢٣ الله ذاكر لمنزل
أحكام، فيمن إن كانوا قوما للحدود وما عهد الله إلى الأئمة فيها من العهود؟
من لحد الفاسق والفاسقة؟
ولحكم الله في السارق والسارقة؟
من لقاذ المحصنات وتتبع إبراز المؤمنات؟
من لحكم التفصيل وإصابة خفي التأويل؟
من لهدى أهل الجهل والضلال والاحتجاج بحجج الله على أهل الإبطال؟
أما سمعت قول الله جل ثناؤه، وتباركت بقدسه أسماؤه:
" سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون
الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين
الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين

٢٢ - في تاج العروس: يقول النابغة:
أبوه قبله وأبو أبيه * بنو مجد الحياة على إمام
٢٣ - عليها " إن "

الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشرقة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ٢٤ " مع جميع حكم الله فيها وفي غيرها، وما أمر به في أحكامه وتقيدها، فهذا

في وجوب الإمامة.

هكذا وكفى من اتصف ولم يف بهذا مع حجج كثيرة تركت تكلفها، وألقيت إليك منها جملها، كراهية للإكثار، واكتفاء بالاختصار، مع آخر لا بد من ذكر معترض عدومها، وكلف تبين ما أستتر من خفي عمومها.

فافهم لسد مذكورها، واسمع لذكر منشودها بأذن واعية من واع، وادعها دعاية انتفاع.

(تهيئة الكون) ٢٥

إعلم أن هذا العالم وما فيه إما أن يكون شيد من أحكم الحاكمين، وأن يكون لواحد لا لاثنين، فإذا ثبت أن ما وجد من العالم وتديره، وما بني عليه من حكم تهيئته وتقديره، لواحد حي حكيم علي، ليس له ضد ينافيه، ولا ند يماثله فيكافيه، ولا له آفة تضره، ولا ضرورة تضطره إلى ما أحدث وصنع من بدائعه واصطنع جل ثناؤه من صنيعه عن أمرين ولشيئين.

٢٤ - النور: ١، ٢، ٣.

٢٥ - يقول الجاحظ في تهيئة العالم: فإنك إذا تأملت العالم وجدته كالبيت المبني المعد فيه عتاده فالسما مرفوعة كالسقف والأرض محدودة كالسطح، والنجوم منظومة معلقة كالقناديل، والجواهر مخزونة في معادنها التي جعلت لها الخزائن، وهي منضودة في مكانها كالذخائر كل شيء معد لشأنه وما يراه له، والإنسان كالملك المخول لجميع ما في البيت من دروب النبات والحيوانات وهي مهية كلها مصروفة في مصالحه، معدة لمنافعه، ففي هذا دلالة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام، وأن الخالق له واحد، وأنه هو الذي ألفه ونظم بعضه إلى بعض وذلك مما قد قال فيه الأولون فأحسنوا القول.

أنظر: العبر والاعتبار، الجاحظ، تحقيق: صابر إدريس مكتبة العربي. القاهرة..

أحدهما: الاعتبار فيما بدا، وحكمه في ماضي إرادته فيما أنشأ. والأمر الثاني: فإحكام تدبير منشأه، وتبليغه غاية مداه، بإحداث ما لا يكون بلوغ المدى للآية، وما يريد الحكيم من إبقاء المنشأ بأسنانه من مواد الأغذية، وحوط المنشأ من كل مفنية.

ثم يكون ذلك في لطف مدخله، وحوط فرعه من الفساد وأصله على قدر حكمة تدبير المدبر، واقتدار قدرة العليم المقدر، فلا يمكن في حكمه التدبير، ولا تدبير ذي العلم القدير، أن يزيد كون لقائه إلا مع خلقه، المقيم إبقائه من مادة الغذاء وتركيب التي للاغتذاء من الأفواه والأوعية، وبسط الأيدي العبدية لاستحالة بقاء الحمقى مع عدم ما به للبقاء، واستنكار دوام دائم، أو توهم قوام قائم، جعلهما الله لا يدومان إلا بمديمتهم، ولا يقومان طرفة عين إلا بمقيمتهم، ثم يقطع المديم المقيم لهما عنهما وهو مريد مع قطعه بدوامهما لما في ذلك من الجهل الذي تعالى الله عنه، وخطأ التدبير الذي بعد سبحانه منه، كنعو ما خلق من حيوان للإنسان الذي خلقه، لا يبقى إلا عادة الغذاء، وجعل غذاه لا يكون إلا بتجرد الأرض والماء وبما فطر سبحانه من حرارة النار والهواء، وبما جعل من فصول السنة الأربعة، وجعل السنة لا تكون إلا بشهورها المجتمع، وجعل الشهور لا تتم إلا بأيامها ولياليها، وما قدرها الله عليه من تواليها، وجعل الأيام لا تتم إلا بساعات أزمانها، والأزمان لا تتم إلا بحركة الأفلاك ودورانها.

(الليل والنهار) ٢٦

٢٦ - يقول الجاحظ في عبرة الشمس: فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله، فكيف كان الناس يسعون في معاشهم وينصرفون في أمورهم والدنيا مظلمة عليهم؟ وكيف كانوا يهتنون بالحياة مع فقدهم النور ولذته وروحه فالإرب في ظهورها ظاهر، يستغنى بظهورها عن الإطناب فيه. ولكن تأمل المنفعة في غروبها، لم يكن للناس هدوء ولا قرار ولا راحة مع عظم حاجتهم إلى ذلك لراحة أبدانهم وجموم حواسهم، وانبعثت القوة الهاضمة للطعام، وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء كالذي وضعت كتب الطب من ذلك، ثم كان الحرص سيحمل بعض الناس من أهل الحرص على مداومة العمل، ومتابعته لتكثر منافعهم واكتسابهم، فيضر ذلك بقواهم وبأجسادهم. ثم كان جهلهم ورغبتهم في الكسب وتتمير المال يؤدي بهم إلى التلف فإن كثيرا من الناس لولا جثوم هذا الليل عليهم وظلمته لما هدأوا عن العمل رغبة في الكسب ولا قروا. أنظر المصدر السابق..

ثم فصل تعالى الليل من النهار و فرق برحمته بين الظلم والأنوار، لتمام ما أراد من إبقاء المدبر ولينتشر في النهار كل منتشر في ابتغاء حاجاته، وليسكن في الليل من فتراته، ولم يجعل الليل والنهار سرمدًا، ولم يعر منهما من خلقه إلا مخلدًا، فقال سبحانه " قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون " ٢٧ فجعل الليل والنهار نعمة منه.

(فصول السنة) ٢٨

٢٧ - القصص: ٧١، ٧٢.

٢٨ - يقول الجاحظ: فكر بعد ذلك في ارتفاع الشمس وفي انخفاضها لإقامة هذه الأزمنة من السنة وما في ذلك من الرفق والمنفعة، ففي الشتاء: تغور الحرارة الشجر والنبات فتولد مواد الثمار، ويستكثف الهواء، فينشأ منه السحاب ويحدث عنه المطر الذي به حياة الزرع والأرض وتشتد أبدان الحيوان، وتقوى الأفعال الطبيعية فيها. وفي الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وينمو الشجر وتظهر الأزهار، ويهيح الحيوان للسفاد. وفي الصيف: يحتدم الهواء فتنتج الثمار، وتحلل فصول الأبدان ويجف وجه الأرض، فيمكن البناء والأعمال. وفي الخريف: يصفو الهواء فترتفع الأمراض وتقوى الأبدان ويمتد الليل، فيمكن فيه العمل لطوله إلى مصالح آخر ومنافع لا يهتدى إلى عملها، ولو تقصت لطلال بذكرها الكتاب. أنظر المصدر السابق، ص ٣٢، ٣٣.

ثم قسم تبارك وتعالى السنة فجعلها أربعة أزمانا، وفننها للبقاء إفنانا، من شتاء وصيف وربيع وخريف.

(الغذاء) ثم قدر في كل فن مع كل زمن من الأغذية ضربا يابس فيه، ورطبا لا يصلح في غيره ولا يتم إلا بتدبيره، وجعل هذه الأزمنة عمودا لتناسل الحيوان وعله لبقائهم إلى ما قدر لهم من الأزمان، ثم دخل الحيوان ضروبا، وجعل أغذيته شعوبا. فمنهم الناس المغتدون بطيب الأغذية، ومنهم الطير والدواب وفنون الأشياء الحية المكتفية بأثقال الغذاء، وتيسير مؤونة الاغتذاء.

(بناء الناس) ٢٩

بنى الناس على خلاف بنية المسخر لهم من الحيوان، وبانوا منهم بفضيلة الفكر ونطق البيان، فدبروا أغذية معاشهم بالفضيلة واستعانوا في ذلك بتصرف الحيلة، وكفى ذلك غيرهم من الحيوان.

ولولا ذلك لما بقوا ساعة من زمان، فكل مذكور من أجناس البهائم المسخرة لمنافع بني آدم فمبني على الأمور مما ذكرنا من فضيلتهم عاجزا عما جعل الله لهم من متصرف جبلتهم.

(تأديب الله لبني آدم بتأديب آباءهم)

وكذلك كانوا بنو آدم في بدء مولدهم، في عجزهم عن نيل منافع غذائهم ورشدهم، وجهلهم لمصلحتهم من مفسدهم.

٢٩ - في العبر والاعتبار: فالإنس لما قدر أن يكونوا ذوي فطنه وعلاج لهذه الصناعات من البناء والنجارة والحياكة والجزر، خلقت لهم أكف كبار ذوات أصبع غلاظ ليتمكن من القبض على الأشياء في حال مزاولتهم لهذه الأعمال والصناعات.
أنظر: المصدر السابق، ص: ٥٥.

فلو كان الناس إذ ابتدأوا وعندما فطروا وأنشئوا، لم يجعل لهم ولا فيهم من يعدوهم، ويقوم عليهم لهلكوا ولم يبقوا وقت يوم واحد، لما يحتاجون إليه في النفاس وعند المولد من تليف الولدان خرقها، وتسوية أعضاء خلقها، ولكن الله تبارك وتعالى جعل لهم في الابتداء آباء قاموا بكفاية المصلحة والغذاء في العلم بمصلحتهم غير حلهم ٣٠، فغذوهم برأفة الأبوة، وبضي التربية في مولدهم إلى بلوغ قوة الرجال، والاستغناء بنهاية الكمال.

ولا بد لهذه الآباء التي قامت على الأبناء من أن تكون في المبتدأ وعند أول المنشأ من الجهالة في نيل ما لأبنائهم من حاجة إلى تربية آبائهم؟ ولا بد كيفما ارتفع الكلام في هذا المعنى من أبناء يقوم عليها آباؤها، وأيا كانوا كذلك في الأصل، إذا ابتدئ إنشاءها في مثل حد أبنائهم من جهلها، وقلة اكتفائها حتى يعود ذلك إلى أب واحد منه كان مبتدأ النسل والتوالد.

ولا بد للأب الأول من أن يكون أده وتعليمه على خلاف أدب من يكون بعده، إذ لا أب له ولا يكون أده وتعليمه إلا من الله أو من بعض من يؤدبه ويعلمه تعليمه إلا من الله أو من بعض من يؤدبه ويعلمه من خلق الله (٣١)، فإن كان من مخلوق أخذ أده، فلا يخلوا ذلك من أن يكون الله أو غيره أده.

وكيفما أرتفع الكلام في هذا المعنى فلا بد من أن يعود إلى أن خلق ابتداء أده من قبل الله للأول الندى ولا بد للأب أو الذي هو أصل التناسل من أن يكون مؤدبا معلما للجوامع من معرفة جهات المضار والمنافع، مخلوقا على الفهم وقبول

٣٠ - هكذا في الأصل.

٣١ - لقد علم الله آدم الأسماء كلها، وعرضهم على الملائكة في محاجته وقال لهم أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين في زعمكم أنني جعلت في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء. ولقد علم الله آدم وبنوه الكثير: من ذلك عندما بعث الله الغراب ليرى هابيل كيف يوارى سوءة أخيه. فتعلم الدفن ومواراة الموتى وهكذا كان تعليم الله لآدم وبنيه.

أدب المعلم، ليتم بذلك من فهمه نفع تعليم معلمه، فيقوم على نفسه وعلى من معه من ولده في الأخذ لهم بأدبه، وعقاب مذنبهم بذنبه، وثواب محسنهم بإحسانه وتوفيق كل على ضره ونفعه، كي يتم بذلك ما أريد لهم من البقاء، وعنهم من أضر مدة الفناء.

(ثلاث طبقات يمر بها الإنسان)

كذلك هم في الخلق منخرون؟ في طبق بعد طبق مصروفون من مدة بقائهم من طبقات ثلاث إلى حين فنائهم لا يخلون منها، ولا منصرف لهم عنها. أما الأولى منها: فطبقة التربية.

وأما الثانية: فطبقة اعتمال الأغذية.

والثالث: فاكتساب الحسنة والسيئة.

فهم في أولى طبقاتهم مكتفون بالآباء

وفي الثانية مستغنون عنهم بالأكفاء مؤدبون على المعرفة بحد الأغذية

والبذور، والفرق بين الضار والنافع فيها من الأمور

والثالثة فمحتاجون ما كانوا فيها، وعند أول مصيرهم إلينا إلى مرشد

ودليل، ذي عقاب وتنكيل، ليكون ما أريد بهم من البقاء، وجلبوا له من عمارة الدنيا

وذلك عند بلوغ قوة الاحتلام، وحركة شهوة ملامسة الأنام، لما بني عليه الناس من

شهوة النساء، لما في ذلك من زيادة النسل والنماء، وكل ذلك من اعتمال الأغذية

وما خص به الإنسان من الشهوة في البنية.

(حد الحدود ومكافأة المثيب ومجازاة المذنب)

ولا بد فيه وفي الدلالة عليه من مرشد معرف، ومحدد موقف، لأنه لو ترك

الناس في الغذاء وما ركبوا عليه من شهوة النساء، بغير حد معروف، لا فرض عزم

موصوف، لم يكن أحد بمعتمله.

وما ملكه الله من أهله أولى عند المكابرة من أحد بدأ، ولما فرق بين سيد
وعبد، ولو كان ذلك كذلك، لصير به إلى الفناء والمهالك، ولما أنسل ولا اغتذى
ضعيف مع قوي، ولا سلم رشيد من الخلق مع غوي، ولبطلت الأشياء وفسدت الدنيا
ولكنه جل ثناؤه وتباركت بقدسه أسماؤه جعل للناس في البدء والدا (٣٢)، وحد لهم
به

في الأشياء حدا أدبهم جميعا عليه، ونهاهم عن المخالفة له فيه، ثم جعل للمتأدبين
فيه بأدبه ثوابا، وعلى المخالفين إذ ما نهاهم عنه عقابا (٣٣).

فكان كل إنسان أولى بمتعلمه، واثق بما ملكه الله من أهله فلو تركوا فيه
بغير إبانة دليل، أو كانوا خلوا في خلاف له من التنكيل، لو ثبت بعضهم فيه على
بعض، ولفنى أكثر من في الأرض، لما يقع في ذلك من الحروب واغتصاب النساء
والنهب، ولكان في ذلك لو كان من الفساد في معرفة الأب الرحيم والأولاد ما
يقطع بعاطف الرحمة، وما جعله الله سببا للنسل والتربية، إذ لا يعرف والد ولدا
ولكن وضع للنكاح في ذلك حدا بين كنهه ومداه، ونهى كل امرئ أن يتعداه ليعرف
كل إنسان ولده فيغذوه بعطفه، وفي عطفه رافة الأبوة عليه، فلا يخفوه ولا يعدوه
وذلك ليتم ما أريد بالناس من التناسل والبقاء إلى غاية ما قدر لهم ودبر من
الانتهاء.

وإذا كان الناس على ما ذكرنا مأمورين في الغذاء، ومحدودة لهم وعليهم
الحدود في مناكحة النساء، لم يكن لهم أن يتناسلوا من ذلك شيئا رفيعا كان منه أو
دنيئا إلا على ما جعل الله لهم، وقدر حكمه بينهم، وإذا كان كذلك، وحكم الله فيه ما
حكم به من ذلك، لم ينل طالب منهم مطلوبة، ولم يدرك محب فيه محبوبه إلا

٣٢ - آدم عليه السلام.

٣٣ - وهذا ما فعله الله مع آدم عليه السلام: حيث حد له في الجنة حدودا لا يتعداها وهو نهيه عن
الشجرة ونهاه عن المخالفة، وجعل طاعته جزاؤها بقاءه في الجنة ويجزى بمخالفته عقابه
بخروجه منها.

بشديد معاناة وعسير مأساة من العلاج والاعتماد، وحركة كسب الأموال التي بها يوصل إلى مطلوب الغني والسييل إلى مناكحة النساء، ثم ليس لهم تناول معتمل ولا حركة في عمل عليهم أو حكم بخلافه فيهم.

ثم إذا صاروا إلى النكاح على ما أمروا به إلى الحد ما لبثوا أن يصيروا إلى عيال وولد يحتاجون لهم إلى أقوات التغذية، وأنواع ضروب متاع التربية، مع حاجتهم للأولاد والأنفس إلى ما يحصنهم من الحر والبرد من الملابس، وما يستر عورات النساء والرجال وما يظلمهم من شعائر للإكثار، وما يحتاجون إليه من اتخاذ الأبنية، وما لا بد لهم من أمتعة للأقبية وكل ذلك من حوائج الإنسان يدخل فيه معهم أشد التنافس لما يعم جميعهم من الحاجة إليه لظاهر ما لهم من المنافع فيه فلا بد في كله وجميع ضروب معتملة من أن يقاموا فيه على حد معلوم، فلا يلزمه فيه فرض حكم معزوم، وإلا اقتتلوا عليه وتواثبوا وتناهبوا فيه واغتصبوا، أو فتنوا فلم يبقوا، وصاروا إلى خلاف ما له خلقوا.

ولما كانوا إلى ما ذكرنا مضطرين، وفي أصل الفطرة عليه مفطورين، تفرقوا في أنواع الصناعات واحتالوا للملبس بضروب الساعات، فلم يكن لهم عند ذلك بد في البدء الأول من معلم يقوم عليهم، يبين لهم أقدار مواقع مصالح ذلك فيهم ليتعاملوا بها وعليها، ويصيروا إلى مصالحهم فيها وإلا فسدوا. وفتنوا وهلكوا ولم يبقوا.

(شروط العلم)

ثم لا بد لمعلمهم وولي أدب تعليمهم من أن يكون عالما بجهات منافع الأشياء، مأمونا عليهم في الدين والدنيا، لأنه إن كان على غير ذلك كان مثلهم يسئ ويجهل في الأمور جهلهم، ثم لا يكون مع هذا يجب عليهم أتباعه، وهول ما تقدم من أمره واستماعه، مع ما يدعوهم إليه من الكف عن كثير مما يحبون ويأمرهم به من الدخول في كثير مما يكرهون، إلا بأن يكون لهم في خلافه مخوفا

بعقاب، وفي الانتهاء إلى معهود أمره موجبا لثواب، وذلك لئلا يكون أن ينقادوا له حتى يؤدبهم ويقبلوا قوله إلا باقتراف درجة العاصي والمطيع، وتباين مكان المحسن عنده والمسئ.

وذلك فيما لا يدخله تعرف، ولا يفرق بينه مفرق، إلا من حيث قلنا، وعلى ما مثلنا، ولا يكون مخوفا العاصي بعقابه، ولا داعيا المطيعين إلى ثوابه، إلا بدلائل إعلام بيينة، بفرق بين المدعي منزلته وبينه، ولا يجوز أن تكون علامة مما يقدر على مثلها، فلا يؤمن على فعلها، وممكن نيلها لمدعي منزلته ظلما وعدوانا وفسقا وطغيانا، ولا تكون للدلالة عليها، وشاهد عليهم للإبانة فيها إلا من الله لا يحدث غير الله خلقها، ولا يحسن من هي عليه بدلالة بخلقها وكانت من الله كغيرها من دلائله في ضوء منبرها، وإسفار نور مبينها، وإقامتها من الأئمة بعينها وانقطاع عدد المعتلين على الله في رفضها بعقد، وكان فيهم لما نص من علم دلائل قربتها.

(إرسال الرسل والنبين)

وكذلك فعل الله بالرسل - صلوات الله عليها - وأوصاهم وأثابهم عن غيرهم بنور دلائله وضيائها ثم فرق كل ملبوه من الرسل والأوصياء ومن حدث بعدهم من خلفاء الأنبياء في علم الدلائل والحجج، بقدر ما لهم عند الله من الدرج.

(آيات وعجائب الرسل)

فجعل دلائل المرسلين وشاهد أعلام النبين أكبر بيانا وأقوى سلطانا وأفلح في الحجة للمستنكرين، وأقطع لأخاليل غدر المعتدين فكان من ذلك عجائب موسى - صلى الله عليه - في فلق الله له ولمن كان معه كان معه البحر ليبصرهم إلى ما كان من قبل

ذلك من عجيب آياته وما أرى المضرين من فعلاته في الضفادع والقمل والدم وما يعظم قدر مبلغه قدر مبلغه عن كل معظم.

وعجائب عيسى - صلى الله عليه - التي كانت تصل في أصغرها للأحلام من إحيائه الموتى وإبرائه للكمة والبرصاء، وإيتائه لهم بما يأكلون وما يدخرون

وإخباره لهم عن كثير مما يضمرون، ثم آيات محمد - صلى الله عليه - وما نزل من حكمة وحيه إليه، التي لم يقو لمكافاته فيها من أضداده ضد، ولم يكن لحكيم منصف عند سماعها من قبولها بدمع عجيب آياته في الشجر وإجابته (٣٤) وما كان من شأن الشاة المسمومة (٣٥)، وإنبائه سرائر الغيوب (٣٦) المكتومة، وإطعامه في سعة كف لأكثر من ألف وألف (٣٧).

٣٤ - عن عمر بن الخطاب قال: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان بالحجون وهو كئيب حزين، فقال اللهم أرني آية لا أبالي من كذبتني بعدها من قومي، فأمر فنأدى شجرة من عقبه فجاءت تشق الأرض حتى انتهت إليه فسلمت عليه ثم أمرها فهبت، فقال: ما أبالي من كذبتني بعدها من قومي: أنظر: دلائل النبوة: للحافظ أبو نعيم. ٣٥ - وأمرها معلوم للكافة. أنظر كتب السيرة النبوية..

٣٦ - من ذلك ما كان في غزوة الخندق: عن عبد الله عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج يوم الخندق وهم يحدقون حول المدينة، فتناول رسول الله الفأس فضربه ضربة فقال هذه الضربة يفتح الله تعالى بها كنوز الروم، ثم ضرب الثانية فقال: هذه الضربة يفتح الله تعالى بها كنوز فارس، ثم ضرب الثالثة فقال: هذه الضربة نبأني الله عز وجل بأهل اليمن أنصارا وأعوانا وقد كان.

وكذلك ما كان من إخباره بقتل الحسين (ع) وإخباره بموت النجاشي وشهادة أم حرام الأنصارية وغيرها.

أنظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١٨٠ وكتب التاريخ وسيرة أئمة آل البيت (ع).. ٣٧ - قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضعيفا عرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا لها، فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي وردتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أرسلك أبو طلحة؟ فقلت نعم. قال: الطعام؟ قلت نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن معه: قوموا. قال: فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة، فأخبرته فقال: أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالناس. وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم، قالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى يلقي رسول الله، فأقبل أبو طلحة ورسول الله معه حتى دخلا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هلمي يا أم سليم ما عندك، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله، ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال إئذ لعشرة فإذن فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال: إئذ لعشرة، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال إئذ لعشرة فإذن لهم فأكلوا حتى شبعوا وهكذا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا أنظر دلائل النبوة لأبي نعيم، ص ١٤٧. وكتب السيرة..

(الأوصياء والأئمة وما في علي عليه السلام)
فبانت الرسل - صلوات الله عليها - من الأوصياء ما جعل الله من هذه
الدلائل لهم وفيهم وبانت للأوصياء من الأئمة ما خصها الله من التسمية وعلمها
يعرف لها عند رسلها من المنزلة وما كانت الرسل تليها به أقوال التفضلة كنعو ما
جاء في علي - عليه السلام (٣٨) - عن الرسول.

٣٨ - هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، ابن عم
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

أمة: فاطمة بنت أسد بن هاشم
وهو أول هاشمي ولد بين هاشميين ولد في حوف الكعبة وأول خليفة من بني هاشم وكان من أول
الناس إسلاما في قول كثير من العلماء.

هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا واحد والخندق، وبيعة الرضوان وجميع مشاهد الرسول إلا تبوك
وله في الجميع بلاء عظيم وأثر حسن وأعطاه الرسول اللواء في مواطن كثيرة بيده. أخاه رسول
الله مرتين: فإن رسول الله أخى بين المهاجرين الأنصار بعد الهجرة، وقال لعلي (ع) في كل
واحدة منهما: أنت أخي في الدنيا والآخرة، وكان مما أنعم الله به على علي أنه ربي في حجر
رسول الله قبل الإسلام.

وفي تحفة الأحوذى: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء
وهذا من مناقبه الطيبة وضرب عليه السلام أروع الأمثلة في الفدائية في نومه مكان الرسول ليلة
الهجرة، وكان ما كان من أمره ومن أمر قريش معه وقال فيه سعيد بن المسيب: لقد أصابت
علي يوم أحد ست عشرة ضربة كل ضربة تلزمه الأرض، فما كان يرفعه

إلا جبريل عليه السلام ومن شجاعته أنه كان يحرض مشركي قريش على قتله ويعيرهم ويقول:

هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ذبحا وقتلة قعصة لم تذبح
أعطوه خرجا واتقوا بضريبة فعل الذليل بيعه لم تريح
أين الكهول وأين كل دعامة في المعضلات وأين زين الأبطح
أفناهم قصعا وضربا يفري بالسيف يعمل حدة لم يصفح

ودعا له رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عند بعثة لقضاء اليمن فقال: اللهم ثبت لسانه
واهد قلبه.

وفي الإستيعاب عن عبد الله بن مسعود قال: كنا نتحدث أن أقصى أهل المدينة علي بن أبي
طالب. وأيضا: يقول عنه سعيد بن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب.
وقال عنه ابن عباس لقد أعطي علي تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركتهم في العشر
العاشر.

ومن أبلغ ما قيل عنه قول عبيد بن عياش بن أبي ربيعة حين سأله ابن أخيه: يا عم، لم كانت
دعوة الناس إلى علي؟ قال: يا ابن أخي، إن عليا كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم
وكان، له البسطة في العشيرة، والقدم في الإسلام، والصهر لرسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم، والفقه في السنة، والنجدة في الحرب والجودة بالماعون.

وكان (ع) زاهدا في الدنيا مديرا عنها، محبا للآخرة مقبلا عليها وله في ذلك آثار منها قوله:
الدنيا حيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر علي مخالطة الكلاب.

ومن عدله (ع) حينما استعمل رجلا من ثقيف على مدرج سابور قال له: لا تضربن رجلا سوطا
في جباية درهم، ولا تتبعن لهم رزقا ولا كسوة شتاء ولا سيفا ولا دابة يعتملون عليها، ولا تقيمن

رجلا قائما في طلب درهم، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك. قال: وإن رجعت ويحك! إنما أمرنا أن نأخذ منهم بالعفو يعني الفضل وعن عقبة: ترك علي أربعة عشر ذكرا وتسع عشرة امرأة منهم أربعة من السيدة فاطمة وهم الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم الصغرى. وكان النسل من ولده الخمسة: الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس بن الكلابية، وعمر بن التغلبية.

وكان (ع) عريض اللحية أبيضها، أصلع على رأسه زغيبات ضخم البطن ضخم الذراع، ضخم عضلة الساق.

وقال الفضل بن دكين: وإن شئت قلت إذا نظرت إليه هو آدم وأن تبينته من قريب قلت: أن يكون أسمر أدنى من أن يكون آدم وكان في عينيه أثر الكحل. وتولى الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان، وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر وقيل أربع سنين وتسعة أشهر.

وعند وفاته لما فرغ من وصيته قال: اقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ثم لم يتكلم إلا بلا إله إلا الله حتى قبضه الله.

وغسله ابنه وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن. (ع) وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، ودفن في السحر.

أنظر: أسد الغابة ج - ٤

الطبقات الكبرى: لابن سعد. والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر.. وفي خبر مقتله (ع):

" أنه في العام الأربعين.. بالموسم اجتمع عبد الرحمن بن ملجم والنزال بن عامر، وعبد الله بن مالك الصيداوي، وذلك بعد وقعة النهر بأشهر فتذكروا ما فيه الناس من تلك الحروب، فقال بعضهم لبعض: ما الراحة إلا في مقتل هؤلاء النفر الثلاثة، علي ومعاوية وعمرو بن العاص. فقال ابن ملجم: علي قتل علي.

قال النزال: علي قتل معاوية.

وقال عبد الله: علي قتل عمرو.

فأقبل ابن ملجم حتى قدم الكوفة، فخطب إلى قطام ابنتها الرباب، وكانت قطام ترى رأي الخوارج، وقد كان علي قتل أباه وأخاه وعمها يوم النهر، فقالت لابن ملجم: لا أزوجك إلا على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة، وقتل علي بن أبي طالب، فأعطاها ذلك، وملكها. فلما كانت تلك الليلة تقلد سيفه، وقد كان سمه وقعد مغلسا ينتظر أن يمر به علي (ع) مقبلا إلى المسجد لصلاة الغداة فبينما هو ذلك إذا أقبل علي وهو ينادي " الصلاة أيها الناس " فقام إليه ابن ملجم، فضربه بالسيف على رأسه وأصاب طرف السيف الحائط، فثلم فيه ودهش بن ملجم فانكب لوجهه وبدر السيف من يده، فاجتمع الناس فأخذوه، فقال الشاعر في ذلك:

ولم أر مهرا ساقه ذو سماحة * كمهر قطام من فصيح وأعجم

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب علي بالحسام المصمم

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا * ولا فتك إلا دون فتك بن ملجم

وحمل عليه السلام إلى منزله وأدخل عليه بن ملجم.

فقال له أم كلثوم ابنة الإمام: يا عدو الله، أقتلت أمير المؤمنين؟

فقال: لم أقتل أمير المؤمنين ولكن قتلت أباك. قالت: أما والله إنني لأرجو ألا يكون عليه بأس فقال فعلام تبكين إذن؟ أما والله لقد سممت السيف شهرا فإن أخلفني أبعدته الله، فلم يمس علي يومه حتى مات.

وأما صاحبي القتال الآخرين:

فالنزال: فشل في محاولته قتل معاوية وقبض عليه وأمر به فقتل وعبد الله بن مالك الصيداوي ذهب إلى مصر ولكنه قتل رجلا آخر يقال له خارجة ظنا منه أنه عمرو، ثم أمر به أيضا فقتل. أنظر: الأخبار الطوال: لأبي حنيفة الدينوري وكتب التاريخ الأخرى

- صلى الله عليه وسلم - وما كان من أقواله المشهورة المعلومة منه كقوله:
" من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه " (٣٩).
وقوله: " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وأنت
قاضي ديني ومنجز وعدي " (٤٠) مع ما يكون عند الأوصياء من علمه بحوادث

٣٩ - الترمذي: المناقب ١٩.

ابن ماجة: المقدمة ١١.

المسند: ١، ٨٤، ١١٨، ١١٩، ١٥٢، ٣٣١، ٤، ٢١٨، ٣٦٨، ٠٥، ٣٤٧، ٣٦٦.

٤٠ - قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ذلك عند تخلفه عن غزوة تبوك حيث خلفه
الرسول في أهله فقال بعض الناس: ما منعه أن يخرج به غلا أنه كره صحبتته، فبلغ ذلك علي - فذكره للنبي
فقال الحديث.

- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج - ٣ والحديث رواه البخاري ومسلم في " باب فضائل
أصحاب النبي ".

والترمذي في " المناقب "

وابن ماجة في " المقدمة " ١١.

ورواه أحمد في المسند.

الأشياء وما يلقون بعد الأنبياء من شدائد كل كيد ودول كل جبار عنيد، أمرا خاصا من الأنبياء لمن خلفهم بعدهم من الأوصياء، كنعو ما ألقى الله تعالى إلى الرسول من اصطفائه علي واختياره وتناول المرادي (٤١) له فيما تناوله به من حيلة واغتراره وخبره عن طلحة (٤٢) والزبير (٤٣) وعائشة (٤٤) ومعاوية (٤٥) وما كان ينادي به في خطبه

٤١ - هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل علي (ع) ومات بعد أن أمر به عبد الله بن جعفر فقطعت رجلاه ويداه ولسانه ومات على أثر ذلك.

أنظر: الأخبار الطوال لابن حنيفة الدينوري ومروح الذهب للمسعودي والكامل لابن الأثير وغيرها من كتب التاريخ..

٤٢ - هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. وكنيته أبو محمد.

أمه: الصعبة بنت الحضرمي، وكانت قبل أن تكون عند عبيد الله تحت أبي سفيان فطلقها. وهو من المهاجرين الأولين وقال موسى بن طلحة: كان أبيض، يضرب إلى الحمرة، مربوعا، وهو إلى القصر أقرب رحيب الصدر، عريض المنكبين، إذا التفت التفت جميعا، ضخم القدمين واتفق أنه غاب عن وقعة بدر في تجارة له بالشام وأخى رسول الله (ص) بينه وبين سعد بن أبي وقاص، وكان شديد على عثمان بن عفان.

المعارف: ٢٢٨.

سير أعلام النبلاء: ص ٤١ ج ١. وانظر أسد الغابة والاستيعاب والإصابة..

ولما قدم البصرة لقتال علي يوم الجمل، فنظر إليه مروان بن الحكم وكان يحقد عليه ما كان منه من أمر عثمان، فرماه بسهم فأصاب ساقه، فشكها بجنب الفرس واعتنق هادية أي عنقه وقال تالله ما رأيت مصرع أشياخ أضيع ومات ودفن بقنطرة قره.

وكان له أخوان: عثمان بن عبيد الله، ومالك بن عبيد الله.

وولد طلحة عشرة بنين وأربع بنات لأمهات مختلفات، وأفضل أولاده محمد السجاد وكان شابا خيرا عابدا قانتا لله، ولد حياة النبي وقتل يوم الجمل وخزن عليه الإمام علي وقال: صرعه بره بأبيه.

ومن مواليه: أبو نعيم الفضل بن دكين بن حماد المحدث وكان يروي (أي أبو نعيم) عن الأعمش والثوري.

٤٣ هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب.

أمه صفية بنت عبد المطلب، عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كنيته: أبو عبد الله.

وقتل العوام أبوه يوم الفجار.

وقال الواقدي: كان الزبير رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير، إلى الخفة كما هو، خفيف اللحية أسمر اللون، أشعر، كان لا يغير مشيبيه.

وأسلم الزبير وهو ابن ثماني سنين.

وروى أحاديث يسيرة عن رسول الله، وسأله عبد الله ابنه في ذلك فقال: قلت لأبي: ما لك لا تحدث عن رسول الله كما يحدث عنه فلان وفلان؟ قال: ما فارقت منذ أسلمت ولكن سمعت منه كلمة، سمعته يقول: " من كذب علي متعمدا ليتبوأ مقعده من النار ".

وعن عمر بن مصعب بن الزبير قال: قاتل الزبير مع النبي وله سبع عشرة وهو من البدرين

وكان على فرس الميمنة.
وقتل يوم الجمل مع عائشة وله: عثمان وعبد الله وعاصم، وعروة، والمنذر وهؤلاء أولاد أسماء بنت أبي بكر.

ومصعب، وحمزة، رملة، خالد، عمر، عبيدة، جعفر، خديجة، عائشة، وتسع بنات أخريات.

المعارف لابن قتيبة.

سير أعلام النبلاء - ج ١ - ص ٤١.

٤٤ هي بنت أبي بكر بن أبي قحافة، يقال لها أم عبد الله، ولدت بعد المبعث بأربع أو خمس سنين وهناك روايات تشير إلى أنها ولدت قبل ذلك بكثير وأنها تزوجت قبل رسول الله (ص) أنظر طبقات ابن سعد ح ٨ ترجمة عائشة.. وانظر لنا كتاب دفاع عن الرسول..

وتوفيت بالمدينة المنورة في ١٧ رمضان سنة ٥٧ هجرية وفي رواية ٥٨ وقيل ٥٦.
وأمرت أن تدفن من ليلتها واجتمع الأنصار وحضروا فلم تر ليلة أكثر ناسا منها، فدفنت بعد الوتر بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة، ونزل قبرها خمسة عبد الله وعروة ابنا الزبير والقاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر.
وفي بلاغات النساء: إن عائشة لما احتضرت جزعت فقبل لها: أتجزعين يا أم المؤمنين وأنت زوجة رسول الله وأم المؤمنين وأبنة أبي بكر، فقالت: إن يوم الجمل معترض في حلقي ليتي مت قبله أو كنت نسيا منسيا.

أنظر: تراجم أعلام النساء: محمد حسين الأعلمي.

أعلام النساء: في عالمي العرب والإسلام. عمر رضا كحالة.
طبقات ابن سعد..

ولما قتل عثمان في ذي الحجة ٣٥ هـ -.

خرجت عائشة من مكة بعد ذلك بحوالي أربعة أشهر قاصدة البصرة في ألف رجل من قريش منادين بأنهم يريدون الأخذ بثار عثمان، وكان طلحة والزبير قد انضموا إلى عائشة قبل ذلك وأصبح الثلاثة زعماء حركة تناهض عليا، وقد استطاعوا أن يقبضوا على ناصية الأحوال في البصرة وخرج معهم كثير من مسلمي البصرة إلى أرباض هذا البلد ليلقوا عليا الذي كان في هذه الأثناء قد ترك المدينة إلى الكوفة وقد تقدم لملاقاتهم، وعرفت بوقعة الجمل في جمادى الأولى سنة ٣٥ هجرية، وذلك أن أحر قتال فيها دار حول الجمل الذي كان يحمل هودج عائشة، وانتصر علي (ع) وتفرق معارضيه وأحسن معاملة عائشة ولكن طلحة والزبير فقدوا حياتيهما.
وعاشت عائشة بعد هذه الهزيمة حياة هادئة في المدينة أكثر من عشرين سنة، ولم تشارك في السياسة بعد مشاركة فعالة ولم تعارض معاوية ومع ذلك فقد ظل اعتراضها أو موافقتها على الأمور له بعض الوزن.

دائرة المعارف الإسلامية - المجلد ١٥.

٤٥ - هو ابن عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن أمية. ولاء عمر بن الخطاب الشام بعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان، فلم يزل عليها مدة خلافة عمر، وأقره عثمان على عمله.
وقد واجه معاوية محاولة قتله في تلك الليلة، أقبل النزال بن عامر حتى قام خلف معاوية وهو يصلي بالناس بالغدادة ومعه خنجر، فوجأه به في أليته، وكان معاوية عظيم الأليتين فأخذ فقال لمعاوية: هل قتلتك يا عدو الله؟ فقال معاوية كلا يا ابن أخي.

فأمر به معاوية، فقطعت يده ورجلاه ونزع لسانه فمات، ودعا بطبيب فأمر أن يقطع ما حول الوجأ من اللحم خوفا من أن يكون الخنجر مسموم.

فمن يومئذ اتخذت المقاصير في الجوامع، فكان لا يدخلها إلا ثقاته وأحراسه، واتخذ أيضا من

يومئذ حراس الليل، وكان إذا سجد بالناس جعل على رأسه عشرة من ثقات أحراسه يقومون من خلفه بالسيوف والعمد.

ولما قتل الإمام علي (ع) سار من الشام إلى العراق إلى أن وجه إليه الحسن بن علي فضالحه وقدم معاوية الكوفة فبايع له الحسن بالخلافة وسمي عام الجماعة.

وولي الخلافة سنة أربعين وهو ابن ٦٢ سنة، وولي الخلافة عشرين سنة إلا شهراً، وتوفي بدمشق سنة ستين وهو ابن ٨٢ سنة.

وقال ابن إسحاق: إنه مات وله ثمان وسبعون سنة.

أنظر تاريخ بغداد - المجلد الأول - ص ٢٠٧ للخطيب البغدادي.

الأخبار الطوال - لابن حنيفة الدينوري.

الإصابة والاستيعاب وأسد الغابة وكتب التاريخ..

ولم يولد له في خلافته ولد.

وولد: عبد الرحمن، يزيد، وعبد الله، وهند، ورملة، وصفية.

أنظر: المعارف.

من دولة بني أمية وما كان يخبر به من عجيب الأنباء، ويقص على الناس من
قصص الأنبياء وما كان به بائنا ولغيره فيه مباينا من بأس الإقدام في القتال
ومنازلة مشاهير الأبطال، التي كان بعد عليها إقدام المقدمين، ويهاب اصطلاء
نارها كثير من خيار المسلمين مع تأول أوليائه فيه لكثير من آي القرآن، مع التي لا

يشك في سبقه إلى الله فيها بالإيمان، والله يقول جل ثناؤه وتباركت بقدسه أسماؤه:
" والسابقون السابقون أولئك المقربون " (٤٦).
فكفى بهذه الآية لو لم يكن معها غيرها وبما بين عنه من وحي كتاب الله
تنزيلها على الوحي دليلاً، وفي الدلالة عليه تنزيلاً.
فكيف بكثير الدلائل عليه؟ ودواعي شواهد الوصية إليه من قوله جل ثناؤه:
" لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا
من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير " (٤٧)
مع كثير آيات القرآن ودلائل وحي الفرقان من تفضيله له بمثالة للأقران
وسبقه إلى الله بكرامة الإيمان، مع التي كان بها نسيح وحده، وفيها مباينا لجميع
من كان معه في حده من جملة أعوان العلم، ومعرفة أديان الأمم، وفضل بيان
اللسان، ومعرفة أسرار القرآن، وهذه خاصة من حالاته، أحد أعلام الإمام بعده
ودلالته التي لا توجد، وإن جهد ملتمسها، ولا يقتبس إلا من الإمام مقتبسها.
فجعل الله جل ثناؤه وتباركت بقدسه أسماؤه ما قدمنا ذكره وأثبتنا في الحجة
أمره من خاص دلائل الأوصياء، كرامة خصهم بها بعد الأنبياء وأبانهم بها من
الأئمة، واحتج بها لهم على الأمة، ثم أبان للأئمة من بعدهم، ودل للأمة فيهم
على رشدهم بدليلين مثبتين، وعلمين مصيبين، لا يحتملان لبس تغليط، ولا زيغ شبهة
تخليط، لا يطيق خلعهما بعد، ولا يحسن خلفهما محسن، ولي ذلك منهما وفيهما.
فمظهر دلالة صنعه عليها الله رب العالمين وخالق جميع المحدثين، وهما ما
لا يدفعه عن الله دافع، ولا ينتحل صبغة مع الله فيما بين من القرابة بالرسول صلى
الله عليه وآله وسلم - وما جعل من احتمال كمال الحكمة فيمن الإمامة فيه وحد
الحكمة وحقيقة تأوليها درك فائق للأحكام كلها، فاسمع لقول الله - جل ثناؤه -

٤٦ - الواقعة: ١٠، ١١.

٤٧ - الحديد: ١٠.

وتباركت بقدسه أسماؤه فيما ذكرنا من مكان قرابة المرسلين، وما جعل من وراثته النبوة في أبناء النبيين.

قال الله تعالى: " ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون " (٤٨)

وقال تعالى: " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم " (٤٩).

وقال سبحانه: " ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين " (٥٠).

وقال تعالى: " ولقد اخترناهم على علم على العالمين " (٥١).

وقال موسى - صلى الله عليه - لبني إسرائيل: " اذكروا نعمة الله عليكم إذ

جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وأتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين " (٥٢).

وقال إبراهيم - صلوات الله عليه: " رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد " (٥٣).

وقال الله تعالى في نوح - صلى الله عليه: " ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون

* ونجيناه وأهله من الكرب العظيم * وجعلنا ذريته هم الباقين " (٥٤)

٤٨ - الحديد " ٢٦ .

٤٩ - آل عمران: ٣٣، ٣٤ .

٥٠ - الجاثية: ١٦

٥١ - الدخان: ٣٢

٥٢ - المائدة: ٢٠

٥٣ - هود: ٧٣

٥٤ - الصفات: ٧٥، ٧٦

وقال نوح - عليه السلام: " رب أغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا
وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا " (٥٥). فقدم في الدعوة الأبوين ثم
ثنى بعدهما بالأهلين ثم دعا بعدهم للمؤمنين تفريقا منه - صلى الله عليه للمفروق
وتنزىلا لهم في التقديم والتأخير على أقدار الحقوق.
وقال سبحانه: " ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه
وجعلناه هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا
بآياتنا يوقنون " (٥٦).

ثم قال تعالى لأبناء إبراهيم خاصة من دون المؤمنين: " ملة أبيكم إبراهيم
هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم تكونوا
شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم
المولى ونعم النصير " (٥٧).

وذلك كقوله وقول إسماعيل - صلوات الله عليهما - عند رفعهما قواعد البيت
فيما ذكرنا ندائهما: " ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك
ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم " (٥٨).
وقال - تعالى: " ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك
المحرم ربنا ليقموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من
الثمرات لعلهم يشكرون " (٥٩).

-
- ٥٥ - نوح: ٢٨.
٥٦ - السجدة: ٢٣، ٢٤.
٥٧ - الحج: ٧٨.
٥٨ - البقرة: ١٢٧، ١٢٨.
٥٩ - إبراهيم: ٣٧.

وقال تعالى: " وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى " (٦٠).
وقال تعالى: " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " (٦١).
وقال تعالى لنوح: " أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل " (٦٢).
وقال تعالى: " وإن لوطا لمن المرسلين * إذ نجيناه وأهله أجمعين * إلا عجوزا في الغابرين " (٦٣).
وقال تعالى: " إلا آل لوط نجيناهم بسحر * نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر " (٦٤).
وقال في أيوب (ع): (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٦٥). وقال يعقوب (ع) ليوسف (ع): " وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم " (٦٧).

٦٠ - طه: ١٣٢
٦١ - الأحزاب: ٣٣
٦٢ - هود: ٤٠.
٦٣ - الصافات: ١٢٣، ١٣٤، ١٣٥،
٦٤ - القمر: ٣٤، ٣٥.
٦٥ - ص: ٤٣
٦٧ يوسف: ٦

وقال تعالى على لسان موسى (ع): " واجعل لي وزيرا من أهلي * هارون أخي * أشدد به أزري * وأشركه في أمري * كي نسبحك كثيرا * ونذكرك كثيرا * إنك كنت بنا بصيرا " (٦٨).

وقال تعالى على لسان زكريا (ع): " فهب لي من لدنك وليا * يرثني ويرث من آل يعقوب وأجعله رب رضيا " (٦٩).

وقال تبارك وتعالى: " ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل * ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين " (٧٠).

ثم قال تعالى: " ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبتناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم " (٧١).

وقال تعالى: " ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين " (٧٢).

وقال تعالى: " ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون " (٧٣).

٦٨ طه: ٢٩ - إلى ٣٥

٦٩ - مريم: ٦، ٥

٧٠ - الأنعام: ٨٤ إلى ٨٦

٧١ - الأنعام: ٨٧

٧٢ - العنكبوت: ٢٧

٧٣ - الحديد: ٢٦

وقال سبحانه: " أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما " (٧٤).

فأي ضياء أضوء أو حجة محتج لقول من إثبات الصفة والفضل لأبناء المتحابين من الرسل مما تلونا تنزيلا مبانا أنزله الله في منزل وحية قرآنا، ولا يعارضه شبهة لبس، ولا يلتبس على ذي ارتياده ملتبس، ولكن اقتطع الناس، وحال بين العامة وبينه، وتكابرهم في الحكم، واعتساف جنائزهم فيه بالعلم، فأعين العامة في غطاء مذكورة، وقلوبهم ذات عمى عن نوره، فمعروفه لديهم مجهول، وداعيه فيهم مردول، لم يفتل عيه، عظم تعنيفه فيه، ولم يعزوا من جهلهم بفرضه وما لهم فيه من رفضه سبيل ما هم عليه، وما أمسوا وأصبحوا فيه من جهل غيره من الحقوق وتعطيلها، ومحو أعلام الدين وتبديلها والله المستعان في ذلك وغيره فإياه.. (٧٥)

ذلك وتعبيره والحمد لله الذي جعلنا لختام المرسلين عترة وبقية، من مصابيرته نيله للأولين عبرة ومنة و (ألا وذرار) (٧٦) ابتداء لما في ذلك تعظيم فضله ومن علينا فيه بولادة خاتم رسله من غير قوة منا ولا حول ولا صالح من عمل ولا قول فجعلنا راجين رجاء أبناء المرسلين بأبائهم.

واعلم أن من حفظ الله للنبيين في أبنائهم وبقي هذا في دلالة القرآن دليلا على الإمام وما ولى الله لرسله في ذلك، وبه من في كرام (٧٧).. أن يقف ويعتبر معتبرا به لحكم مفكر، فاسمع لقول الله سبحانه في فضل الحكمة، وما خص به

-
- ٧٤ - النساء: ٥٤
٧٥ - بياض في الأصل.
٧٦ - كذا ورد بالأصل.
٧٧ - بياض بالأصل.

وجعلها فيه من التقدمة إذا يقول في داود (ع): " وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب " (٧٨).

وقال فيه جل وعز: " وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء " (٧٩).

فمتى ما وجد الملتمسون، وأصاب هذا الطلب الطالبون من غايات الخليات فيه كاملات، وهذان الدليلان عليه منشأة، نقب ما فيه ووضحت وبانت الحجة لأوليائه (٨٠) ولم يكن بطالب إمامة هدية ولم تكن الكفاءة بذلك إلا فيه والعلة إليها ولها ومن أجلها، كان القرآن والحكمة (٨١) على الإمام دليلا، وإلى وجوده عند الحاجة والمطلب سبيلا، إن مطلبة في القرآن أسهل على الطالبين، وأيسر في تكليفه على المتكلفين، وأقطع بيانا وأبلغ في الحجة على المتجاهلين، وأقرب إلى تناول التبعية، إذا لا يمكن تقريبها بالتسمية، والدولة دونها (٨٢).. مخوف فيها قبل الأبوين. ولو كان الأمر في الإمامة كما قال المبطلون فيها، وعلى ما زعموا من أنهم الحاكمون بأبائهم اختارهم عليها، وأن الخيرة فيها ما اختاروا، والرأي منها ولها ما رأوا، وكان في ذلك من طول مدة وفداء، عطنوا فيحه وفساده من إهمال الناس ما لا خفي على نظريه عين ولا يعلم معه عصمة دين (٨٣).. من فساد الاهمال وليعطل في مدة الطلب لأكثر الأحكام من الجمع والإعياء والدفاع والجهاد وقذف

٧٨ - ص: ٢٠

٧٩ - البقرة: ٢٥١

٨٠ - بياض بالأصل.

٨١ - أي سنة

٨٢ - بياض بالأصل

٨٣ - بياض بالأصل

المحصنات ومكابرة المؤمنات فسقط حد الزاني والزانية، وكل حكم خصه الله بالتسمية.

ثم لما كان لما هم فيه من الطلب أنه يعرف ولا للغرض فيه نهاية ينتهي إليها المكلف، ومن شأن الله تيسير كلفه وبقي منه معرفة كنحو من تكليفه وما كان من تعريفه جل ثناؤه لنفسه بما للسماء وللأرض من خلقه، وما عرف من رسله فوائد أعلام دلائله، كقوله: " وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس " (٨٤).
وكقوله: " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم " (٨٥).

فقالوا: نختار لإمامتنا وديننا أولفنا لذلك في أنفسنا
فقلنا: لستم تختارون ذلك لأنفسكم دون اختياركم فيه على ربكم، فله
الخير لا لكم.
ويقول الله جل ثناؤه " وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة " (٨٦).

٨٤ - الحج: ٧٨.
٨٥ - البقرة: ١٨٥
٨٦ - القصص: ٦٨

موجز تواريخ الأئمة الإثني عشر
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
أبوه: أبو طالب (عبد مناف)
أمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم.
ولادته: يوم الجمعة ١٣ رجب في الكعبة المكرمة بعد مولد الرسول الأعظم (ص)
بثلاثين

سنة

ألقابه: أمير المؤمنين، المرتضى، الوصي، حيدرة يعسوب المؤمنين.
* ولد في الكعبة ولم يولد بها أحد قبله ولا بعده.
أخى رسول الله (ص) بينه وبين علي لما أخى بين المسلمين.
* بلغ عن رسول الله (ص) سورة براءة.
شهادته: ليلة ٢١ من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ.

الإمام الحسن (ع)

أبوه: الإمام أمير المؤمنين علي (ع) أمه: فاطمة الزهراء (ع)
ولادته: ولد في المدينة ليلة النصف من شهر رمضان في السنة الثالثة للهجرة.
ألقابه: التقي، الزكي، السبط.
وفاته: توفي في السابع من شهر صفر سنة ٥٠ هـ.

الإمام الحسين (ع)

أبوه: الإمام أمير المؤمنين علي (ع).
أمه: فاطمة الزهراء (ع).
ولادته: ولد بالمدينة في الثالث من شعبان سنة أربعة للهجرة.
ألقابه: الوفي، الطيب، الدليل على ذات الله، السبط، سيد شباب أهل الجنة.
شهادته، استشهد هو وأهل بيته وأصحابه في اليوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ.

الإمام علي بن الحسين (ع)

أبوه: الإمام الحسين بن علي (ع).
أمه: شاه زنان - أي ملكة النساء - بنت يزيدجرد بن شهريار بن كسرى ملك الفرس.
ولادته: ولد في المدينة يوم الجمعة في الخامس من شعبان سنة ٣٨ هـ.
ألقابه: زين العابدين، سيد الساجدين، سيد العابدين، ذو الثغفات.
وفاته: في الخامس والعشرين من شهر محرم سنة ٩٥ هـ.

الإمام محمد الباقر (ع)
أبوه: الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع).
أمه: فاطمة بنت الإمام الحسن.
ولادته: ولد يوم الجمعة ١ رجب، سنة ٥٧ هـ.
ألقابه: الشاكر لله، الهادي، الأمين.
ملاً الدنيا بعلمه وحديثه، حتى قال بعض أصحابه أنه سأله عن ثلاثين ألف حديث.
وفاته: توفي يوم الاثنين، سابع ذي الحجة، سنة ١١٤ هـ.
الإمام جعفر الصادق (ع) أبوه: الإمام محمد بن علي الباقر (ع).
أمه: أم فروة (فاطمة) بنت القاسم.
ولادته: ولد في المدينة، في السابع عشر من ربيع الأول سنة ٨٠ هـ.
ألقابه: الصادق، الفاضل، الصابر.
وفاته: توفي في الخامس والعشرين من شوال سنة ١٤٨ هـ.
الإمام موسى الكاظم (ع)
أبوه الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع).
أمه: حميدة بنت صاعد المغربي.
ولادته: ولد بالأبواء - بين مكة والمدينة - في السابع من شهر صفر، سنة ١٢٨ هـ.
ألقابه: الهبد الصالح، الكاظم، باب الحوائج، الصابر.
وفاته: توفي يوم الجمعة، في الخامس والعشرين من شهر رجب، سنة ١٨٣ هـ. الإمام
علي الرضا (ع)
أبوه: الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) أمه: تكتم، وتكنى ب (أم البنين).
ولادته: ولد في المدينة المنورة في الحادي عشر من ذي القعدة، سنة ١٤٨ هـ.
ألقابه: الرضا، الصابر، الرضي، الوفي.
وفاته: يوم الثلاثاء ١٧ صفر، سنة ٢٠٣ هـ.

الإمام محمد الجواد (ع)

أبوه: الإمام علي بن موسى الرضا (ع).

أمه: سبيكة - من أهل بيت مارية أم إبراهيم بن رسول الله (ع).

ولادته: ولد بالمدينة ليلة الجمعة ١٩ شهر رمضان، سنة ١٩٥ هـ.

ألقابه: الجواد، القانع، النجيب، المتقي، العالم.

وفاته: توفي يوم السبت، آخر ذي القعدة سنة ٢٢٠ هـ - في بغداد.

الإمام علي الهادي (ع)

أبوه: الإمام الحسن بن علي العسكري (ع)

أمه: نرجس بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وتنسب إلى وصي المسيح شمعون.

ولادته: ولد في ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ - في سامراء.

ألقابه: المهدي، القائم، المنتظر، صاحب الزمان، الحجة.